مـجلـــــة تداوليات Revue :tadawoulyyat ISSN:
المجلد: الأول(01) / العدد: الأول(01) / سبتمبر 2023 / ص ص: 01-24

القوى الإنجازية عند ج . سيرل: بنيتها ومنهج تصنيفها

مسعود صحراوي[1]

Sahraoui massaoud [1]

[1]– جامعة عمار ثليجي – (الأغواط)

البريد الإلكتروني : hammaboutaleb56@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/01/20	تاريخ القبول: 2023/04/14	تاريخ النشر: 2023/06/05

ملخص البحث

إن خير وريث لفكر الفلسفة التحليلية من بين فلاسفة اللغة المعاصرين، في بريطانيا وأمريكا خصوصا، هو الفيلسوف ج .سيرل **j .searle** وتعتبر أعماله في فلسفة اللغة العادية متابَعة معمّقة لمشروع أستاذه أوستين، فقد عدّل في كثير التصنيفات وزاوج بين رأيه ورأي أستاذه أوستين وآراء غيره من فلاسفة اللغة من أمثال: فيتغنشتين **wittgenstein** وشتراوسن **strawson**، وغيرهما... ألف سيرل كتابه الثالث -في استدراك بعض الجزئيات في النظرية ، وصياغتها صياغة منطقية- بالاشتراك مع زميله فاندرفاكن Daniel Vanderveken، وهو: " fondements des forces illocutionnaires -1985 " ، غير أن أهم إنجاز لسيرل في الموضوع هو ما ضمّنه كتابيه الأول و الثاني و هما

-actes de langage , essai de philosophie de langage – traduction francaise de helene pauchard- preface de oswald ducrot- hermann- paris- 1972.

- sens et expression ,etudes de theorie des actes de langage – traduction francaise et preface de: joelle proust – minuit –paris- 1982. ...

وهما مصدرانا الأساسيان في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: أفعال الكلام، القوة الإنجازية، المحتوى القضوي، أسس التصنيف، الفلسفة التحليلية، فلسفة اللغة العادية.

1– المؤلف المرسل: مسعود صحراوي: hammaboutaleb56@gmail.com

Abstract:

The best heir to the thought of "analytical philosophy" among contemporary language philosophers, especially in Britain and America, is the philosopher J.Searle. His works in the philosophy of ordinary language are considered an in-depth follow-up to the project of his teacher Austin, as he modified in many classifications and combined his opinion with that of his teacher Austin and the opinions of other scholars philosophers of language such as: Wittgenstein, Strawsson, and others... Hence, his work is not just an accumulation of knowledge, but rather a qualitative addition that highlights its philosophical value and linguistic return through his in-depth study of the concept of "performative powers", especially in defining the elements of the performative power and in Its classification, in a fruitful and fertile philosophical linguistic lesson, has been invested in some of the newly developed linguistic branches, such as pragmatics, verbal linguistics, functional linguistics, discourse analysis, text linguistics, and others...

Key words. analytical philosophy, speech acts, ordinary language, performative, illocutionary force.

مقدمة:

لا نعدّ عمل الفيلسوف ج. سيرل مجردَ تراكم معرفي، بل هو إضافة نوعية تبرز قيمتها الفلسفية ومردوديتها اللسانية من خلال دراسته المعمّقة لمفهوم "القوى الإنجازية، ولا سيما في تحديد عناصر القوة الإنجازية وفي تصنيفها، في درس لغوي فلسفي مثمر وخصيب؛ فقد استُثْمِر في بعض الفروع اللسانية المستحدثة، كالتداولية ولسانيات الملفوظ واللسانيات الوظيفية وتحليل الخطاب ولسان النص وغيرها...

والأساس الفلسفي الذي يقوم عليه بحث سيرل في أفعال الكلام هو رؤيته التي تلخصها مجمل آرائه في فلسفة العقل، كما صرّح هو نفسه، كما سنرى في فقرات لاحقة، وذلك يعني أن "فلسفة اللغة " عنده جزء أساسي من "فلسفة العقل".

وقد ذهب في الحوار المشار مع مجلة فلسفية أمريكية[1] -وفي أحد أهم كتبه- إلى أن هناك تماثلا شديدا بين البنى العقلية والبنى اللغوية، أو بين بنية **"الأفعال الكلامية"** وبنية **"حالات القصدية "(états intentionnels)**، بل ذهب إلى حد التصريح بـ**"أن هذا التماثل ضروري: فالملفوظ الوصفي تعبير عن اعتقاد، والأمر تعبير عن رغبة، والوعد تعبير عن نية ..."** [2]

لكن ما يهمنا نحن من فلسفة اللغة (أو فلسفة العقل) ، في هذا المقال، هو ما تمخض عن ذلك من "مباحث ومقولات وتفسير للظواهر" أُدرجت، في فترات لاحقة، ضمن البحث اللغوي وأثّرت أيما تأثير في التيارات اللسانية المعاصرة، ولا سيما التيار التداولي واللسانيات الوظيفية ولسانيات الخطاب.

ما يميز التعديلات التي أجراها سيرل على النظرية، إضافة إلى إعادة التصنيف، أنه قدم تصورا آخر لمنطق "الأفعال المتضمّنة في القول"، كما أنه أدخل ضمن "الإنجازيات" ما سماه "الأفعال الكلامية غير المباشرة ".

و عليه فإني سأتعرض في هذا الفصل إلى العناصر الآتية:

- القوة الإنجازية كما يتصورها ج . سيرل.
- إعادة تصنيفه القوى الإنجازية .
- الأفعال الكلامية غير المباشرة.

وتشكل تلك المباحث الثلاثة جوهر الجديد الذي يميز ما جاء به ج . سيرل

إعادة النظر في مفهوم "الفعل المُتضمَّن في القول" وتعديله:

مما لم يختلف فيه سيرل مع أوستين مفهومه لوظيفة اللغة، فهي ليست مجرد أداة تواصلية أو وسيلة للتعبير عن الفكر بل هي، فوق ذلك، فعل و سلوك اجتماعي، أي اعتبار "القول هو الفعل"، وقد انعكس ذلك على مفهوم الفعل الكلامي نفسه فقد عرّفه أوستين، كما رأينا، بأنه الفعل المؤسس من قبل متكلم يتمتع بصلاحيات معينة،[3] ومن ثمة فالفعل الكلامي هو: الملفوظ المتحقق من قبل متكلم محدد في سياق محدد والذي لا تكون اللغة معه مجرد أداة تواصلية، بل فعلا اجتماعيا أو سلوكا فرديا أو مؤسساتيا.

كل ذلك لا يعارضه سيرل، و لكنه يضبط مفهوما آخر لـ" الفعل الإنجازي "، ومن ثم يحدد له بنية عامة مختلفة وتفريعات أخرى، أهم ما يميّزها هو النسقُ المصطلحي-المفاهيمي الذي أراد سيرل أن يتميز به عن أستاذه.

ثنائية سيرل: المضمون القضوي والقوة الإنجازية[4]

من أجل أن نضع القارئ في صورة قريبة من تحليل سيرل لهذا المفهوم المستحدث مخالفا به مفهوم أوستين، نود إجراء ربط معرفي بين آراء العلماء العرب القدامى وآراء المعاصرين، وكنا بيّنا في عمل سابق[5] أن آراء العلماء العرب قائمة أساسا على "معنى القول" الذي ينشئه المتكلم في نفسه ويتواصل به مع الآخر (في الخارج العياني) فيُخبر أو يقرر أو يأمر أو ينهى أو يستفهم أو يتمنى أو ينشئ عقد زواج أو بيع... الخ، وفي كل "فعل تواصلي" من هذه الأفعال تكمن إحدى إرادتين (أو أحد قصدين) -كما يتحصل

من كلام السبكي والتفتازاني ومحمد بن علي الجرجاني، واقتراحات الدسوقي على الأخص، وإعتراضات الأخير إنما هي على الصيغة لا على الفكرة- والقصدان هما:

- قصدُ "إحداث المطابقة" بين الكلام والخارج العياني، في الخبر .

- قصدُ "إنشاء خارج عياني" لم يكن موجود قبل الكلام، في الإنشاء.

والقانون العام الذي يحكمها هو العلاقة بين اللفظ الذي يحمل معنى ينشئه المتكلم وبين الحال التي تقتضي ذلك اللفظ على بنية مخصوصة تناسب تلك الحال[6]، وهذا هو التصور الذي استقر عليه الدرس البلاغي العربي القديم- الذي كان مشتركا بين طوائف العلماء العرب من بلاغيين ونحاة وأصوليين ومناطقة... كما أشرنا عدة مرات.

غير أن شكري المبخوت أبدى وجهة نظر أخرى فرأى أن "الخارج العياني" ليس له كبيرُ أثر في هذا الباب، وإنما يبرز أثره في باب "المجاز" أكثر، غير أنه أوضح في فقرة لاحقة أن هذا "الخارج العياني" لا يمكن إنكار حضوره في التواصل، لا سيما في معاني النحو، وهو خارجٌ تصوغه مقولاتنا اللغوية التي تتحكم في التصديق والتكذيب[7]... والحاصل من ذلك أن هذا "الخارج العياني" ذو أثر في العبارة اللغوية حتى وإن اختلف الناس في تحديد أثره.

ومن العلماء الذين أبدوا رأيهم في المسألة، وهو رأي طريف، ابن الحاجب (ت **635** هـ)؛ ففي تحليله لجملة: "هل زيدٌ قائم؟"... استنبط وجهين:

- **الأول:** أن المتكلم أفاد المخاطَب حصولَ نسبة بين المسند إليه والمسند على وجه الاستفهام، فكأنه نسب قياما مستفهما عنه إلى زيد، كأنه يقول: "زيدٌ أنا مستفهم منك عن قيامه".
- الثاني: أنه أفاد المخاطب "قيام مستفهم عنه منسوب إلى زيد"

ويرى الطبطبائي أن تحليل ابن الحاجب هذا شبيه بتحليل سيرل، فالملفوظ يكون في تحليل سيرل مكوَّنا من مكوِّنين: محتوى قضوي، وقوة إنجازية؛ كما نعرف، المحتوى القضوي في "زيدٌ قائم" والقوة الإنجازية هي "الاستفهام عن قيامه"، وأما بتحليل ابن الحاجب فتكون الجملة ذات بُعدَين: إسناد لغوي (علاقة إسنادية بين "زيد" و"قائم")، وكيفية تكيفت بها تلك العلاقة، هي كونها مستفهما عنها[8].

وسواء صحت المشابهة بين تحليل كل من ابن الحاجب والفيلسوف الأمريكي أم لم تصح؛ فإن سيرل ينطلق من قناعة فلسفية تحولت إلى كلية منهجية غدت شائعة في تداوليات عصرنا وفي الاتجاهات الوظيفية عموما، مفادها أن كل نشاط لغوي تواصلي قائم على مبدأين[9]:

- مؤسسة مؤطرة بنظام وقانون يُسمي في الأدبيات المشهورة "قواعد اللغة"
- ومتكلم يتصرف وفق قصد معين وغرض يقتضيه مقام التواصل.

فالتواصل بين أهل اللغة محكوم بنظام ذي إحداثيتيْن مترابطتين متفاعلتين: 1-"منطق اللغة وقواعدها" في بناء العبارة حتى تؤدي معنى مقبولا، 2- و"قصد" المتكلم الذي يتصرف في التواصل اللغوي وفق هذا النظام.

اللافت أن سيرل، وعلى أساس هذه القناعة المنهجية، يبني نتيجة مفادها أن التواصل اللغوي لا يتم بالأقوال ولكن بـ"أفعال" و"إفادات" تتضمنها تلك الأقوال. وبنى على ذلك تحليلا للعبارة اللغوية من شأنه تفكيكها إلى مكونين يتلبس أحدهما الآخر، هما **"المضمون"** (أو المعنى) و**"القوة"** (أو القيمة).

فبغرض تفكيك بنية الفعل الكلامي لتحرير عناصرها إلى وحداتها الأولية وفحصها فحصا مدققا قسمها سيرل إلى مستويين: المستوى الدلالي-المنطقي، والمستوى التداولي؛ فسمى المستوى الأول: **محتوى القضية (contenu proposiotinnel)** وسمى الثاني: **القوة الإنجازية (force illocutoire)** وهذا الأخير هو المكون الذي يطبعها بطابعها التداولي الصريح، وقد أخذه عن أوستين، لكنه عمّقه وجعله مفهوما مركزيا في النظرية[10].

وهذا الإجراء هو من أكبر مظاهر التعديل المنهجي التي أجراها سيرل على عمل أستاذه أوستين، وفحواها التمييز بين مفهومين: مفهوم **"فعل القول"**، ومفهوم **"فعل القوة"**، فهو يوافق أستاذه في أن الأول هو "الفعل اللغوي" ذو المعنى المحدد في لغة من اللغات، بينما الثاني هو "ملء" هذا اللفظ بـ"قوة إنجازية" معينة، كأن يكون فعل القول ظاهرُهُ "الاستفهام"، و لكن القوة/القيمة التي يتضمنها هي "الإنكار"، أو غير ذلك. ولكن ما لاحظه سيرل وأضافه أنه قد يحدث أن يتداخل الفعلان، فيكون التلفظ بجملة ما خاليا من أية "قوة إنجازية" ضمنية، بل يكون ما تدل عليه الجملة معنى ظاهريا صرفا خاليا من أي فعل متضمّن في القول[11].

شروط المحتوى القضوي: تفاديا للتداخل بين الفعلين يقترح تمييزا آخر يحدد به نمطين من الأفعال في كل جملة بناء على مبدإ أن "لا جملة محايدة تماما" . و الجملة المحايدة هي التي لا قوة إنجازية لها.

وهذان النمطان هما اللذان يلخصان مفهوم "الفعل الإنجازي" في كل جملة، وهما :

1- فعل القضية (أو الفعل القضوي): وهو الحمولة الدلالية المباشرة التي تحملها الجملة، وهو مستقى من المعجم عادة[12]، ويكاد يكون معادلا لمفهوم "فعل القول". ويرمز لها سيرل بـ(P) التي قد تصح ترجمتها بـ**(ض)**، و التي تعني: قضية[13].

2-فعل القوة: وهو ما يعبر عن الطاقة الإنجازية التي تتضمّنها الجملة، كالإخبار والاستخبار والوعد والوعيد والتمني وإجراء العقود والمعاهدات... و**"فعل القوة " هو الفعل الكلامي الحقيقي**. ويحب سيرل أن يرمز له بـ**F(P)** التي قد تُترجم بـ: **ق(ض)**[14] حيث **(ق)** تعني القوة و**(ض)** القضية.

ومن الأمثلة الصالحة للجزأين/النمطين الجملة المتكرّرة، فإن فعلهما القضوي واحد، وهو فعل الإتيان، و لكن تختلف قوتها الإنجازية، كما يتضح ما يلي:

– سآتي غدا ..... (تكون خبرا عن اعتقاد أو نية في ظروف معينة).

– سآتي غدا ..... (تكون وعدا في ظروف معينة).

فللجملتين السابقتين فعل قضوي واحد، و هو فعل الإتيان كما قلت آنفا، لكنهما مختلفان من جهة القوة الإنجازية التي ضمّنها كل منهما: فالأول خبر، و الثاني وعد.[15]

ذلك فيما نرى، هو الفهم السليم لما قاله سيرل بهذا الصدد و مثّل له بأمثلة كثيرة . ويرى الطبطبائي أن فعل القضية، في تلك الجملة، هو الإخبار و فعل القوة هو الوعد [16].

ومقتضى تحليل سيرل أن "فعل القوة" يزيد بدرجة عن "فعل القضية" لأنه أودعت فيه قوة لم تُودع في الآخر، وعليه فإن تمييز الأول عن الثاني تمييز حقيقي، إلاّ أنهما فعليا وأنطولوجيا، متلازمان، فلا وجود لفعل القوة إلاّ مع وجود فعل القضية.[17]

وعليه نلخّص البنية العامة للأفعال الكلامية حسب تصور ج. سيرل في الرسم الآتي:

فعل الإسناد

+ فعل الإحالة

= الفعل القضوي

+ الفعل القوة الإنجازية

+ الفعل الناتج عن القول

الفعل الكلامي الكامل

يمكن عرض هذه البنية في الرسم البياني الآتي:

مكونات الفعل الكلامي عند سيرل (بتصرف بسيط)

الفعل القضوي	الفعل الإنجازي	الفعل الناتج عن القول
يعبر عن قضية	يعبر عن قوة إنجازية	يدل على يُترك من آثار في الواقع

يلخص شكري المبخوت[18] عمل سيرل في تركيزه على الطابع النسقي للأفعال الكلامية، وتركيزه على القوة الإنجازية، وفي تجريده للقوة في نموذج: **ق(ض)** ، حيث **(ق)** رمز القوة، و**(ض)** رمز القضية، كما ذكرنا.

لكن سيرل يلحّ على أن الفعل الكلامي "الحقيقي" من هذه الأنواع الثلاثة هو الفعل الكلامي الذي يتضمّن قوة إنجازية"، أو هو "القوة الإنجازية" ذاتها، فتركيز سيرل كله على "القوة" وإلحاحه على تعيين مؤشر هذه القوة، وهذا واضح في تحليله ولا غبار عليه.

<u>طريقة سيرل في تصنيف الأفعال الإنجازية:</u>

لم يكن سيرل مقتنعا بتصنيف أستاذه أوستين الذي لم يكن أكثر من عملية الرجوع إلى معاني الأفعال (**les verbes**) كما تحددها المعاجم اللغوية، لا الأفعال ذاتها (**les actes**). ولهذا السبب قام بتوجيه نقد شديد للتصنيف الخاص الذي ورثه عن أستاذه أوستين مبينا أنه يفتقد لمنهج واضح و متماسك مبيّنا أن "نقطة الضعف الجوهرية في هذا الصنيف أنه لا يقوم على نسق واضح، أي على مجموعة من المبادئ المنسجمة، إذا استثنينا "الوعديات" التي استخدم فيها أوستين مبدأ واضحا هو غرضها الإنجازي قاعدة محدّدة لعلاقة خطابية واضحة[19].

ولذلك يعرض تصورا منهجيا جديدا- أو لنقُلْ طريقة تصنيفيةً جديدةً- ثم يبني عليها تصنيفا آخر بديلا للتصنيف الأوستيني، فوضع• لائحة من المعايير أو الأسس المبدئية المتنوعة الشاملة لمفهوم القوة الإنجازية. وقد اتبع مسلكا علميا جديدا مكّنه من فهم أعمق لمنطق القوى الإنجازية وإعادة تصنيفها. وأهم تلك المعايير:

- الغرض الإنجازي
- درجة شدة للغرض الإنجازي
- شرط الصراحة
- نمط الإنجاز
- الحالة النفسية المعبر عنها
- .....

إضافة إلى تحديد المعايير السابقة، رأى سيرل أن ذلك لا بد أن تتبعه خطوة أخرى حتى يكون المنهج التصنيفي متكاملا، و تمر الخطوة المنهجية الثانية بمرحلتين:

- **المرحلة الأولى:** تعيبين فعل كلامي نموذجي ناجح غير فاسد، وبعد بحث في الأفعال الإنجازية اختار سيرل "فعل الوعد" لخصوصيات ارتآها فيه، ورأى أن يكون هذا الفعل هو النموذج الذي يقوم بتحليله.

- **المرحلة الثانية:** إيجاد نظائر لهذا الفعل وتطبيق نتيجة تحليله عليها. نظرا إلى تلك الاعتبارات اصطنع سيرل منهجا آخر رآه أكثر دقة – وقد ألمحنا إليه آنفا – يمر بمرحلتين:

أ- تعيين فعل نموذجي ناجح غير فاسد إنجازيا، تضافرت له شروط النجاح، وأهمها المعايير و الأسس السابقة. ولخصوصيات ارتآها في فعل "الوعد" اختار سيرل أن يكون هذا الفعل هو النموذج الذي يقوم بتحليله.

ب – اكتشاف نظائر هذا الفعل وتطبيق نتائج هذا النموذج عليها.

معايير القوة الإنجازية:

ويراد بـ"المعايير" مجموعة الأسس المنطقية والدلالية والتداولية التي يكون دورها كما يلي:

- التمييز بين مستويَيْن: القضية والقوة، وقد عرفناهما آنفا .
- التمايز بين أصناف الأفعال الكلامية ذاتها **(actes)** .

وقد استوحاها ج . سيرل إما من الأفعال ذاتها **(les actes)**، و إما من العلاقات السياقية بين الخطاب وملابساته، التي يقوم عليها فعل القوة حتى يتسنى تمييزه بسهولة عن فعل القضية الذي هو فعل عاديّ. فهي عبارة عن متغيرات دلالية وتداولية كثيرة كما رأينا، و لكن أهم تلك الأسس هي المعايير ذات الطابع التداولي، وذات الأثر الواضح في الحكم على إنجازية الفعل أو عدم إنجازيته، وأهمها: الغرض الإنجازي، واتجاه المطابقة بين اللغة والعالم، وشرط الصراحة، وسنرى بعد حين أهمية وأولوية هذه الأسس على غيرها.

ونشير إلى أنّ توفّر هذه العناصر، في فعل واحد، توفّر متفاوت، إلا أن تضافرها يوفر للفعل قوة إنجازية عالية تجعله أشد تميزا عن فعل القضية.

ونقوم، فيما يلي، بشرح الأسس ذات الأولوية والأهمية في بنية القوة الإنجازية حسب تصور سيرل.

الغرض المتضمّن في القول (أو الغرض الإنجازي):

كل ما يهدف إليه الفعل (acte) من غاية إنجازية يسميه سيرل: "الغرض الإنجازي" للفعل المتعلّق به . فلكل صنف من الأفعال في القول غرض. فالوعد غرضه إلزام المتكلم نفسه عمل شيء، و الأمر غرضه حمل الآخر على عمل شيء... وهكذا. ويلاحظ سيرل أن الغرض الإنجازي "ذاتي و ملازم ولصيق" لنمط الفعل الذي يتعلق به[20]، بمعنى أن الأداء الناجح للفعل الإنجازي يحقق بالضرورة ذلك الغرض، فهو متلبّس به تلبّسا لا مقتضى للعدول عنه، ولا مجال لتخلفه عنه.

وهذا العنصر هو أهم أساس من أسس القوة الإنجازية على الإطلاق لأنه سمة ملازمة للفعل، فقد لاحظ سيرل "أن الغرض الإنجازي هو جزء من القوة الإنجازية ولكنه لا يلتبس بها"[21] . لكنه ليس الأساس الوحيد فهناك اتجاهات المطابقة والشروط والظروف الإنجازية (أو الأنماط) ... غير أنها كلها إما تكون تقييدات وتخصيصات للغرض، و إما أن تكون آثارا للغرض.

اتجاه المطابقة بين القول و العالم direction d ajustement entre les mots let le monde:

ويريد بها سيرل الوجهة التي يرتبط بها القول مع العالم، أو الأنحاء التي يرتبط بها المحتوى القضوي مع الوجود الخارجي عن اللغة[22]. وقد استعار سيرل هذا المبدأ / المعيار من المؤلفة "إ. أونسكونب Elizabeth Anscombe" التي أوردت مثالا على المطابقة بين العالم والقول كما يلي:

" لنتصور أنّ رجلا ذهب إلى السوق و في يده قائمة الحاجات التي حضرتها له زوجته من أجل اقتنائها، ثم تبعه جاسوس يكتب في قائمة أخرى كل ما يشتريه الرجل، فصار لكل منهما، خارج السوق، قائمة. و لكن لكل قائمة وظيفتها جعل العالم مطابقا للغة (الكلمات المكتوبة في القائمة) ، وقائمة الجاسوس وظيفتها جعل اللغة مطابقة للعالم (أي للمقتنيات التي بحوزة الرجل) ..."[23].

هذا المثال يوضح مفهوم اتجاه المطابقة **(direction Ajustement)** بين اللغة (أو القول) والعالم . وقد حصرها سيرل في أربع اتجاهات، وهي :

- **اتجاه المطابقة من القول إلى العالم:** وذلك بإنشاء فعل كلام يبطابق العالم (أي الواقع الخارجي المستقل عن الكينونة اللغوية)، مثل: التأكيد والإنكار والوصف، ويرمز لها سيرل بسهم متجه إلى الأسفل ↓ ، وهذا الاتجاه خاص بالتقريريات .

- **اتجاه المطابقة من العالم إلى القول:** ويتحقق النجاح في المطابقة بتغيير العالم (أي الواقع الخارجي المستقل عن الكينونة اللغوية) ليطابق المحتوى القضوي (أي اللغة)، مثل: القسم والوعد والطلب والأمر، ويرمز لها بسهم متجه إلى الأعلى ↑ ، و هذا الاتجاه خاص بالأمريات والوعديات .

- **اتجاه المطابقة المزدوج:** يتحقق النجاح في المطابقة بين القول و العالم باتحادهما، مثل الاستقالة والإقالة، ويرمز لها سيرل بسهمين متعاكسين عموديا: ↕ ، وهو خاص بالإيقاعيات (مثل: الإقالة، الاستقالة، التعيين، التسمية ...).

- **اتجاه المطابقة الفارغ:** وليس فيه مسؤولية لأي طرف عن تحقيق المطابقة، مثل الشكر و التهنئة، ويرمز له سيرل بالمجموعة الفارغة **Φ** ، وهو خاص بالبوحيات .

ولذلك يعتبر سيرل مبدأ "اتجاهات المطابقة" أساسا هاما من أسس تصنيف الأفعال المتضمنة في القول، بالنظر إلى ارتباطه الشديد بالغرض المتضمّن في القول، وتوقف هذه الأخير عليه.

شرط الصدق/الإخلاص (condition de sincérité):

لا ينبغي أن يظن، كما قد يتبادر إلى الذهن، أنّ ارتباكا أصاب سيرل وهو يؤكد على استقلالية هذا الشرط بوصفه مندرجا ضمن الافتراضات، فالواقع غير ذلك، فهو يختلف عن الشروط الافتراضية في أن هذه الأخيرة معلومة من معطيات المقام، أما هذا الشرط فعبارة عن تطابق حاصل (وإذا لم يكن حاصلا فلا بد أن يحصل) بين القول و بين جملة النوايا والاعتقادات الملابسة له، فإذا لم تتلبّس القول نية صادقة، أو رغبة حقيقية، أو اعتقاد بمضمونه، فقد تعثرت قوته التي ضمنها وانتفت هويته الإنجازية، مثل:

– أعدك بالحضور لكنني غيرُ ناوٍ له .

فإن فعل الوعد **(acte de promesse)** (أو **قوة الوعد**/ قيمة الوعد) قد تداركه نقض قوّض قوته الإنجازية وأزال عنه تلك الصفة، والنقض - هنا – تحقق لغويا بالأداة "لكن" التي أفادت معنى الاستدراك الذي يعنى إبطال ما تقدم.

معنى ذلك أن **الفعل الكلامي الصريح**، لا بد أن ينطوي بالضرورة على حالة نفسية مطابقة لفعل التلفظ. أما الفعل الكلامي غير الصريح فهو الذي لا يعتقد صاحبه بمضمونه... فالإخبار غير الصريح كذب، و الوعد غير الصريح تغرير، والتقرير غير الصريح عبث، والأمر غير الصريح، أي الذي لا يراد به حمل المخاطب على فعل شيء عبث مثله أيضا، وهكذا... فشرط **الصراحة sincérité** بمثابة الحالة النفسية الملابسة لأداء الفعل الكلامي وهي مرتبطة بالقصد، وهي التي تعطيه مصداقيته ونجاحه.

نمط الإخبار:

بعض القوى الإنجازية تتطلب ظروفا خاصة من أجل تحقيق أغراضها، ومثل ذلك المتكلم الذي يصدر أمرا إداريا رسميا من موقع سلطة معينة... هذا المتكلم يفعل شيئا غير الذي يفعله المتكلم الذي يصدر طلبا عاديا، فالقولان يهدفان إلى غرض واحد (أو قوة إنجازية واحدة)، لكن الأمر الإداري الرسمي يحقق غرضه من موقع قوة لا تتوفر للمتكلم العادي، و يكون ملزما إذا واتته الظروف الإنجازية الملائمة، ومن أهمها [24]:

- السلطة التي تخوله حق إصدار أمر بهذا القانون ...
- استناده الفعلي إلى تلك السلطة و طبقا لشروطها ...

ومن الأمثلة التي توضح اختلاف الشروط والظروف الإنجازية وتفاوتها الواضح في الأمر شخصان يرويان خبرا: أحدهما يرويه بوصفه شاهدا في المحكمة، والآخر يقدمه على أنه خبر عادي، فالأول يعطي خبرا و يؤدي به شهادة قد تترتب عليها نتائج خطيرة، بينما الثاني خبره مختلف.

فقد تبيّن أن ظروف الإنجاز مختلفة بين الحالتين: حالة الأمر الإداري الرسمي المستند إلى سلطة فعلية وحالة الشهادة أمام محكمة، عن حالتين أخريين: هما حالة الطلب العادي و حالة الإخبار العادي.

مجموع هذه الظروف الإنجازية يسميه سيرل **"أسلوب الإنجازmode of achievement"**[25]، ومعنى هذا الكل المركب: الشروط العامة للأداء الإنجازي، لأنه – كما يبدو- عبارة عن مجموع الشروط التداولية التي تؤسس القوة الإنجازية المستخلصة من عدة أبعاد: طبيعة الشخص المتكلم وعلاقته بالحادثة والصفة القانونية التي تخوله الإدلاء بما يدلي به ...

تلك الظروف الإنجازية تشكل، مجتمعة، نمطا خاصا للقول الذي لابد أن يحقق غرضا من ورائه لتكون القوة التي يتضمنها هي القوة المعنية ولا قوة غيرها... فقد أبرز المثالان السابقان _أي الأمر الصادر عن سلطة مخولة والشهادة أمام محكمة _ أنهما مشابهان لأغراض أخرى شبها ظاهريا أي باعتبار فعل القضية، وهما مختلفان في العمق الإنجازي، أي في القوة الإنجازية (أو القوة المتضمَّنة في القول باصطلاح أوستين).

<u>درجة الشدة (force ou intensite)للغرض الإنجازي:</u>

لتكن الجملتان:

_أطلب منك أن تزورني

_ألح عليك أن تزورني

فالجملة الأولى غرضها الإنجازي هو حمل المخاطب على زيارة المتكلم، وللجملة الثانية نفس الغرض، غير أن الجملتين تختلفان في درجة الشدة، ومن ثم تتفاوتان إنجازيا، وكذلك الفرق بين الجملتين: "أقسم أن بيل سرق المال"، و"أظن أن بيل سرق المال"[26].

إن اختلاف درجة الشدة بين قوى لها نفس الأغراض قد حمل سيرل على إعادة تصنيف خاص لهذه القوى على أساس هذا التفاوت، وهذا المبدأ معتبر عند سيرل ولكنه ليس أساسيا، أي لا تبلغ أهميته أهمية الثلاثة الأولى: الغرض، اتجاه المطابقة، شرط الصراحة.

وتلخيصنا لهذه الأسس نتبنى التلخيص الجيد الذي أتى به الأستاذ طه عبد الرحمن لمنهج سيرل، فقد ذهب إلى أن هذه الأسس التصنيفية تتلخص في أربعة أنواع من الشروط[27] :

- شروط مضمون القضية (وتتعلق بالمضمون المعبّر عنه: أي فعل القضية).
- شروط جوهرية(مثل الغرض الإنجازي، ودرجة الشدة).
- شروط الصدق (مثل شرط الصراحة).
- شروط تمهيدية (الشروط المعدة).

- تصنيف ج . سيرل للأفعال الكلامية :

كان لسيرل مآخذ على تصنيف أوستين – الذي لم يرتضه أوستين نفسه – لأنه لم يقم على منهج واضح محدد المعالم، فتوصل إلى التصنيف الآتي للقوى المتضمنة في القول، وهو تصنيف منبثق عن المعايير السابقة، إذ توصل إليه بعد تطبيق الأسس والعناصر السابقة على الأفعال المتضمّنة في القول، بعد حنكة خبرها بعمق بعد سنوات طويلة من اشتغاله بالظاهرة، نتجت عنها الأصناف الخمسة الآتية:[28]

1- **التقريريات assertifs** والغرض منها هو التقرير، والشرط الافتراضي الذي تقوم عليه التقريريات هو امتلاك الأسس القانونية أو الأخلاقية التي تؤيد صحة محتواها. واتجاه المطابقة في التقريريات هو من القول إلى العالم، والحالة النفسية التي تعبر عنها هي الاعتقاد، ومن أمثلتها : الإجابة، الإنكار، التأكيد، التلخيص ...

2- **الوعديات promissifs** والغرض منها هو الوعد، و الشرط العام لها هو قدرة المتكلم على أداء ما يلزم به نفسه، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول، والمسؤول عن إحداث المطابقة هو المتكلّم، والحالة النفسية المعبر عنها: القصدية **(Intentionnalité)**. ومن أمثلها: الوعد، الالتزام، التعاقد ...

3- **الأمريات directifs** وغرضها الطلب، وشرطها التعبير عن فعل (acte) مستقبلي يقوم به المخاطب، اتجاه المطابقة فيها يكون من العالم إلى القول، و المسؤول عن إحداث المطابقة هو المخاطب، والحالة النفسية المصاحبة لها هي الرغبة ومن أمثلتها: الأمر، النهي...

4- **الإيقاعيات declaratifs** وغرضها إحداث تغيير في العالم حتى يطابق المحتوى القضوي (أي المضمون المستفاد من القول)، واتجاه المطابقة اتجاه مزدوج، ومن أمثلتها: التقرير، الاستقالة، التعريف، التسمية...

5- **البوحيات expressifs** والغرض منها التعبير عن مشاعر حيال الواقع، واتجاه المطابقة فيها هو الاتجاه الفارغ، ومن أمثلتها: الشكر، التهنئة، الترحيب، الاعتذار، التعزية...

خلاصة تصنيف سيرل:

يسجل على هذا التصنيف الذي استقر عليه بحث سيرل بعد سنوات من اشتغاله بالنظرية:

نلاحظ أن سيرل قد ألغى تصنيف أوستين إلغاء شبه تام ووضع تصنيفا بديلا له على أسس علمية مؤسسة ومتماسكة في رأيه ورأي بعض الدارسين[29]:

- فقد اعتبر "**التقريريات**" صنفا عاما يحتوي جزءا من صنفين عند أوستين هما "**التنبيينات** " و"**الحكميات** "

- و"**الأمريات**" تحتوي جزءا كبيرا من "**الحكميات**" الأوستينية، وأيضا بعض "**السلوكيات**"، مثل: الشكر ، التهنّئة ، فقد أدخلها سيرل ضمن " **البوحيات**"، وأما عند أوستين فالصنفان من"**السلوكيات**".

- و"**الوعديات**" تحتوي " **وعديات** " أوستين بعد تجردها من بعض الأفعال، مثل: الاستعداد، النية...

وقد أشرنا آنفا إلى أن سيرل ألغى تصنيف أوستين إلغاء شبه تام ووضع تصنيفا بديلا له على أسس علمية مؤسسة ومتماسكة في رأيه[30] ورأي الكثيرين.

ويمكن عرض تصنيف سيرل مقارنا ببعض التصنيفات المشهورة في اللسانيات التداولية المعاصرة، كتصنيف أوستين السابق وتصنيف هابرماس[31] في الجدول الآتي:

ويتلخص جوهر ما جاء به سيرل في مفهوم " **القوة الإنجازية**" فيما يلي:

1- منهج سيرل في دراسة القوى الإنجازية وتصنيفها منهج تحليلي استقرائي يقوم على وضع أسس لتلك القوى ومعايير، واتجاهات المطابقة.

2- لا يكون الفعل الكلامي ذا "قوة إنجازية" إلا بتوفر عناصر تلك القوة و تضافرها، و أهمها: "الغرض الإنجازي"، و "اتجاهات المطابقة".

3- أضاف سيرل دراسة جديدة إلى النظرية سماها "**الأفعال الكلامية غير المباشرة**"، ورأى أنها تشترك مع الظاهرة الأصلية في الأصول العامة والتي تتمثل في أسس ومعايير القوى الإنجازية (الغرض الإنجازي واتجاهات المطابقة، وشروط النجاح، وشرط الصراحة، وشروط المحتوى القضوي ...) ، وأن من الفوارق الأساسية بينهما أن الظاهرة الأم تشتمل على قوة إنجازية واحدة وأن الظاهرة الفرعية الملحقة تشتمل على قوتين إنجازيتين متلازمتين تقومان جنبا إلى جنب، لكن إحداهما عرَضية والأخرى أساسية مقصودة.

4- تميّز تصنيف سيرل عن تصنيف أوستين بثرائه وعمقه التحليليين، وبوضوح الأساس الذي قام عليه، ومن ثمّ، بعلميته على الرغم من النقائص الموجودة فيه.

بعض المراجعات:

كان بحث سيرل في النظرية موضوعَ مراجعة وإعادة نظر، من كثير من الباحثين، ولا سيما في "الغرض الإنجازي" وخصائص "البوحيات" و"الإيقاعيات" وفي مبدأ "اتجاهات المطابقة"، ونستعرض في الفقرة الموالية أهم تلك الآراء:

1. رأي ريكاناتي ناقش فرانسوا ريكاناتي **F. Récanati** مبدأ "الغرض الإنجازي" للبوحيات (التعبيريات مثل التهنئة والتعزية...) واستند في تحديده إلى ما يسميه "البعد الإحالي" أو البعد المرجعي (**Dimension référentielle**) فهو يرى أن الغرض الإنجازي قد يكون له بُعدٌ إحالي وقد لا يكون، والبعد الإحالي هو قرين المحتوى القضوي، ويبني عليه رأيه بعدم وجود "اتجاه مطابقة" للبوحيات، لأنه "إذا كان الفعل الكلامي لا يشتمل على وصف لواقعة ما في صورة محتوى قضوي فإن الكلمات عندئذ لا يمكن أن تطابق العالم ولا يمكن للعالم أن يطابقها، لأنه في تلك الحال لا توجد عقة إحالية من القول إلأى العالم يمكن أ تقع فيها مطابقة"[32]

والنموذج الكلامي الأكثر وضوحا في رأيه هو كلمة التحية "**Salut**" لأنها لا تمثل شيئا أكثر من التحية، فلا توجد واقعة تشكل محتوى للتحية كما هو الشأن في الأمر والتقرير والوعد[33]، وبذلك تكون الصورة النموذجية للبوحيات هي "**F**" ونترجمتها إلى العربية بـ"**ق**"، وهذا الرمز يعبر عن قوة مجردة من المحتوى القضوي ومن المرجع "**Référent**"... وهو بذلك يؤيد فكرة "اتجاه المطابقة الفارغ للبوحيات"، وهذا كله يقوم على افتراض أن مؤشر القوة الإنجازية (**marqueur de force**) لا يكون إحاليا.

2. **رأي علماء الخبرة العربية القديمة (التراث)**

أما في منظور اللغويين العرب القدامى فإن الدسوقي مثلا [34]يرى أن المتكلم في مثل: "ليت..." و "ما أكرم..." يتمنى ويتعجب، أما في مثل: "أتمنى أن لي مالا" و"إنني معجب بكرم زيد" فيخبر بأنه يتمنى في الأولى ويتعجب في الثانية. فالجملتان الأوليان إنشاءٌ للتمني وللتعجب، والجملتان الأخيرتان إخبارٌ عن التمني وعن التعجب.

ومثل ذلك الجمل من قبيل:

- اذهب إلى السوق
- آمرك با، تذهب إلى السوق
- هل نجحت؟

- أسألك عن نجاحك....الخ

ومن علمائنا القدامى من تفطن إلى الاختلاف الصيغي الذي يؤثر على الهوية التصنيفية لتلك القوى الإنجازية فنظر إلى الظاهرة من زاوية أخرى ودرس ذلك تحت عنوان فرعي: هو الاستفهام الحرفي والاستفهام الاسمي..[35] وعدّ الأول إنشاء والثاني إخبارا، وعليه يكون من المقبول أن نصنفها ضمن "التقريريات" -باصطلاحات سيرل- لا ضمن "البوحيات"، ذلك أنها لا تنجز "الفعل البوحي" على الحقيقة ولكن تُنجز "الفعل التقريري"، ويبدو أن هذه الرؤية صحيحة وإذا كانت كذلك فهي رأي علمي ذكي وطريف، غير أن هذا التعديل التصنيفي لا يسلبها هويتها الإنجازية.

الأفعال الكلامية غير المباشرة

اهتم سيرل بظاهرة أخرى من ظواهر الأفعال الكلامية أطلق عليه "الأفعال الكلامية غير المباشرة" (actes de parole indirects) وهي الأفعال الكلامية التي ترد في العبارات والأساليب غير المباشرة وتدل دلالة غير حرفية، ومن أشهر العبارات التي يسوقها التداوليون المعاصرون: "هل يمكنك أن تناولني الملح؟"[36] التي ظاهرها الاستفهام مع أن دلالتها ليست من الاستفهام في شيء، وإنما دلالتها الطلب في هذه الجملة، أو نوع منه وهو الالتماس، والسؤال الذي طرحه سيرل هنا: لماذا يُفهم المتخاطبون بهذه الجملة وأمثالها الطلب (الالتماس) وليس الاستفهام، أي دلالتها غير الحرفية وغير المباشرة؟

حاول سيرل تفسير ذلك انطلاقا من نموذج تفسيري، معقد شيئا ما، مركب من مصادر معرفية ومفاهيم شتى متضافرة على علاج هذه الظاهرة، وهي: نظرية الأفعال والكلامية، والمشتركات المعرفية بين المتكلم والمخاطب، وقدرة المتكلم على الاستدلال؛ ففي هذه الأصناف من الجمل (أو الخطابات) يتغلب الاعتبار المقامي وقصد المتكلم، وهي معطيات خارجية، على الصيغة الحرفية للعبارة.

المهم أن سيرل يضع نموذجا استدلاليا لتحليل فهم المشاركين في الخطاب، وهو عبارة عن آلية تفسيرية مكونة من عشر مراحل متسلسلة متناسقة يروم من خلالها رصد الخطوات الاستدلالية التي بها تجعل المشاركين في الخطاب يحملون مثل هذه العبارات على غير دلالتها الحرفية.

والملفوظ الذي يمثل به هو حوار بين (س) و(ع):

(س) لـ (ع): لنذهب إلى المسرح.

(ع): يجب أن أراجع لامتحان الغد.

السؤال:كيف فهم (س) أن (ع) يرفض دعوته للذهاب إلى المسرح؟ وبطريقة عكسية: كيف تمكن (ع) من إفهام (س) بأنه يرفض دعوته؟

يسمي سيرل دعوة (س) بالفعل الكلامي الأوَّلي، ولكن رفض (ع) جاء بفعل كلامي ثانوي وهو ادعاؤه أنه يراجع للامتحان، وعليه فإن الفعل الكلامي الثانوي يحمل دلالة جانبية، أما دلالة الفعل الأولي فهي دلالة غير جانبية، وهذا ما دعاه إلى طرح الإشكالية ثانية: كيف يمكن الانتقال من الفعل الكلامي الجانبي إلى فهم الفعل الكلامي الأولي غير الجانبي؟

هنا يقترح سيرل آليته التفسيرية[37] المكونة من عشر خطوات (مراحل) ليفسر بها ذلك الانتقال التأويلي:

1- تقديم الدعوة لـ(ع)، وإجابة هذا الأخير بأنه مشغول بالمراجعة للامتحان.

2- اعتقاد (س) أن مخاطبه متعاون في المحادثة... (قوانين الخطاب)

3- الإجابة قد تكون بالقبول أو الرفض أو بدعوة أخرى أو بمواصلة الحديث... (نظرية الأفعال الكلامية)

4- ولكن قوله لا يشكل أي شيء مما ذكر، فإجابته إذن في غير محلها

5- من المحتمل إذن أن يقول أكثر مما صرح به، إن غايته الأولية في الكلام تخالف غايته الثانوية فيه.

يشير سيرل إلى أن المستمع في هذه المراحل لا يملك آلية لفهم الفعل الكلامي غير المباشر إلا إذا توفرت لديه إستراتيجية استدلالية استنتاجية تمكنه من اكتشاف مقاصد الكلام.

6- يدرك (س) أن المراجعة والتحضير للامتحان يدوم أكثر من أمسية، والذهاب إلى المسرح يدوم تقريبا نفس المدة.... (معلومات خلفية)

7- (ع) لا يمكنه إذن الذهاب إلى المسرح والتحضير للامتحان في أمسية واحدة.

8- أحد الشروط الأولية لقبول أية دعوة أو أي فعل هو القدرة على إنجاز ذلك الفعل في ظل شرط المحتوى الإسنادي... (نظرية أفعال الكلام)

9- لذا فإني أدرك أنه قال شيئا يستلزم احتمال أنه يرفض دعوتي

10- غايته الكلامية الأولية هي رفض دعوتي.

هذا تحليل سيرل للفرق يين الفعل الكلامي المفهوم بصيغته الحرفية وأسلوبه المباشر وبين الفعل الكلامي المستدل عليه مقاميا، كما في الجملة السابقة: هل يمكن أن تناولني الملح؟ هل تُحمل على الاستفهام أم على الالتماس؟ وما مرجّحات حَملها على أحدهما دون الآخر؟

الأفعال غير المباشرة والاستلزام التخاطبي

شاع عند الدارسين أن سيرل قد استفاد من تداولية جرايس في "الاستلزام الحواري"، حيث استعار منه آلية الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم، ليطبقها على الأفعال الكلامية غير المباشرة حيث الانتقال من القوة الإنجازية الحرفية إلى القوة الإنجازية غير المباشرة. ونظرا لأوجه الشبه والتقارب بين الأفعال الكلامية غير المباشرة والاستلزام الحواري اضطرب بعضهم في التفرقة بينهما، فجاءت بحوثهم التطبيقية تحمل عنوان الاستلزام الحواري بينما هي خالصة في الأفعال الكلامية غير المباشرة[38]!

وقد نطرح في هذا السياق التحليلي لمثل تلك العبارات سؤالا آخر يُحتمل حضوره في مثل هذا النقاش، وهو هل يكون من الوارد في بعض تلك العبارات غير المباشرة أن يُدرَج في التحليل ملاحظة ثنائية المحتوى القضوي للجملة وقوتها الإنجازية، فهل تكون القوة الإنجازية للجملة قرينة توجه إلى الدلالة المقصودة من الجملة؟ ولا شك أن مثل هذا السؤال يعيدنا إلى تفحص بنية العبارة النصية ونسقها اللغوي، بصرف النظر عن معطيات المقام كما ناقشها علماؤنا القدامى والمعلومات المشتركة بين أطراف الخطاب كما عرضها سيرل.

والحقيقة أن بين الاستلزام الحواري والأفعال الكلامية غير المباشرة علاقة وطيدة، وترتدّ هذه العلاقة الوطيدة بينهما إلى عدة أشياء[39]: فكلاهما يدرس ظاهرة واحدة وهي قصد المتكلم ما لم يقله، والمؤسِّسان ينتميان إلى مدرسة فكرية واحدة، بل متعاصران كذلك، واستعارة سيرل من "جرايس" آلية الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المقصود مع تصريحه بذلك.

ورغم هذه العلاقة الوطيدة فإن بعض الباحثين قد ذكر بعض الاختلافات بينهما، منهم عبد المنعم السيوطي الذي أتي بفروق جيدة بين المفهومين، ومنها:

1. أوستين وسيرل ينطلقان بحثًا عمَّا يقلق الفلاسفةَ من قديم الأزل: الخبر أو القضية واتصافه بالصدق والكذب، وكيف يميزونه عن الطلب والإنشاء الذي لا يصح كونه قضية، بينما ينطلق غرايس بحثًا عن معنى المتكلم ومقصده في الجمل المحتملة لأكثر من دلالة وكيف يصل المخاطبُ إليه.

2. سيرل يسعى إلى تجريد المعنى غير المباشر وصياغته منطقيًّا في غرض إنجازي يتكون من كلمة واحدة، بينما يسعى "غرايس" إلى كشف هذا المعنى وشرحه؛ ولذلك عبَّر سيرل عن نظريته باللغة الصورية الرمزية، بينما لم يفعل غرايس ذلك.
3. تناولُ سيرل لقصد المتكلم ما لم يقله جاء عرَضًا لما شذَّت عن نظريته، بينما نظرية جرايس موضوعها بالأصالة هو قصد المتكلم ما لم يقله.
4. أخرج سيرل من نظريته النص التخييلي، بينما استوعبته نظرية جرايس؛ لذلك هي أقرب للنصوص الأدبية والجمالية، بينما تصلح الأولى للنصوص الرسمية والتقريرية.
5. لم يقدم سيرل أي تصنيف لنظريته في الأفعال غير المباشرة تحيط بصورها وتنوعاتها، بينما أقام غرايس بنيانًا نظريًّا ومنطقيًّا يستوعب ذلك ويصنفه[40].

ويمكن أن نضيف- إلى ما قاله هذا الباحث- نقطتيْ خلاف أُخريَيْن بين المفهوميْن:

1. أن الفيلسوفين قدما ما قدما على الرغم من تشابهما في كثير من النقاط كما سبق ذكره؛ فسيرل يصور أن في الفعل الكلامي المباشر قوة إنجازية واحدة، أما غير المباشر ففيه قوتان إنجازيتان، وغرايس لن يكن يعنيه ذلك
2. أن في إطاريْن تداوليين متباينين؛ فسيرل درس الظاهرة في إطار مبدأ "الإنجاز" وهو مفهوم فردي... بينما غرايس درسها في إطار مبدأ "التعاون" وما فيه من نشاط تخاطبي محادَثي.

الأفعال غير المباشرة عند العلماء العرب القدامى

أشرنا في فقرة سابقة، باقتضاب، إلى أن علماءنا القدامى اكتشفوا القانون العام الذي يحكم تأويل خطاب المتخاطبين وهو إدراك العلاقة بين اللفظ الذي يحمل معنى ينشئه المتكلم وبين الحال التي تقتضي ذلك اللفظ على بنية مخصوصة تناسب تلك الحال، ضمن قرائن وعلامات توجه نحو المعنى المقصود، وهذا هو التصور الذي استقر عليه الدرس البلاغي العربي[41].

وهذه القرائن نوعان[42]:

- قرائن المقال، وهي القرائن النصية الدالة على المعنى أو الموجهة إليه، وقد يسميها المعاصرون المؤشرات (**marqueurs**) وهنا تتجلى أهمية نص الخطاب أو حرفيته، وهنا تبرز أهمية التواصل اللغوي وتأدية المتكلمين للأفعال الكلامية.

- قرائن الحال، وهي وضعية (أو حال) المتخاطبين أثناء الخطاب الفعلي ونواياهم ومقاصدهم، وقد جعلوا من شروط البلاغة "مراعاة مقتضى الحال" أي إخراج الكلام حسب ما يقتضيه الحال[43].

وإن دراسة الأفعال الكلامية[44] في تراثنا تختلف في بعض الجوانب عند النحاة عنها عند البلاغيين، إذ الأولون ينطلقون من الأشكال للوصول إلى الدلالات، وأما البلاغيون فيدرسون الدلالات المترشحة عن التراكيب الشكلية في مقامات التواصل المتباينة[45].

وأما الأفعال الكلامية غير المباشرة فقد بحثت في كتب علمائنا القدامى بأسلوب آخر؛ وممن فصل القول -في مسألة تولد معنى فرعي من أسلوب على غير ظاهره- السكاكي في "المفتاح" -وأشار إليها قبله الجرجاني في "الدلائل" وعلماء آخرون- ويرى المتوكل أن السكاكي قدم تفسيرا دقيقا لتولد المعاني الفرعية عن المعاني الأصلية ولفهم الانتقال من المعنى الحرفي غير المقصود إلى المعنى غير الحرفي المقصود، وهي المعاني التي تتولد مقاميا عن التراكيب الأصلية، مثل تولد التقرير من الاستفهام، أو التمني من الاستفهام، أو تولد معنى الاستبطاء منه أيضا، ويحصل الانتقال في رأي السكاكي، إذا أُجريت التراكيب الأصلية غيرَ مطابقةٍ لشروطها (عدم الإجراء على الأصل)، ويتم ذلك في مرحلتين متتاليتيْن[46]:

- **المرحلة الأولى** يؤدي عدم المطابقة المقامية إلى خرق أحد شروط المعنى الأصلي فيمتنع إجراؤه.
- **المرحلة الثانية** يتولد عن خرق شرط المعنى الأصلي وجود معنى آخر يناسب المقام، مثل: "هل لي من شفيع؟ في مقام لا يسع إمكان التصديق بوجود الشفيع، امتنع إجراء الاستفهام على أصله وولد بمعونة قرائن الأحوال معنى التمني"[47].

وكذلك فعل السكاكي، وعموم العلماء العرب، مع ظاهرة تولد معاني الإنكار والتوبيخ والاستبطاء والتخصيص والتعجب والتعجيب، من صيغ الاستفهام وغيرها... بمساعدة قرائن الأحوال فيتولد منها من المعاني ما يناسب المقام. ولعل هذا يُظهر إلى حد ما سداد رؤية علمائنا القدامى وعمقها وعلمية أرائهم في الدرس اللغوي، بل ذهب بعض المعاصرين إلى أكثر من هذا حين وصفوا تفسير السكاكي الأخير بأنه أفضل من تفسيرات الفيلسوف سيرل، لأن الأخير بناها على فرضيات واحتمالات لا واقعية، وإنما هي اقتراحات محتملة وليست مثبتة علميا[48].

مقارنة بين تصنيف أوستين وتصنيف سيرل: نود -قبل أن نختم هذا البحث - أن نلخص أهم الفروق التصنيفية بين الفيلسوف أوستين وسيرل باعتبارهما المؤسسين للنظرية وصاحبي الإسهام الأوفر فيها، فإذا تأملنا تصنيف سيرل وجدناه مختلفا عن تصنيف أوستين في مسائل جزئية أهمها:

- أن " **التقريريات** " عند سيرل تحتوي جزءا من"**التنبيهات** " وجزءا آخر من "**الحكميات**" عند أوستين .
- أن " **الأمريات** " تحتوي قطاعا كبيرا من " **الحكميات** " ، و أيضا بعض " **السلوكيات** " ، مثل شكر ، هنّأ ، فقد أدخلها سيرل ضمن " البوحيات " .
- أن " **الوعديات** " تحتوي " **وعديات** " أوستين بعد تجردها من بعض الأفعال، مثل : استعدّ ، نوى ...
- و إذا كانت " **البوحيات** " تشتمل على بعض " **السلوكيات** "، فإن " **التقريريات** " تغطي الصنف الأصلي من " الإنجازيات ". و لذلك يذهب سيرل إلى حد التفكير في قسم فرعي (ضمن التقريريات) تندرج تحته بعض " **التقريريات الأوستينية "(assertifs)** و التي قد تتحول، في سياق ما، إلى"**أمريات** "...

نلاحظ، إذن، أن سيرل قد ألغى تصنيف أوستين إلغاء شبه تام ووضع تصنيفا بديلا له على أسس علمية متماسكة في رأيه ، كما قلنا عنه سابقا .

أهم المصادر والمراجع (العربية والأجنبية):

1. ريكاناتي فرانسوا، فلسفة اللغة والذهن، تر: الحسين الزاوي، دار ابن النديم للنشر الجزائر، دت.
2. السكاكي (أبويعقوب)، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، بيروت، 1987.
3. الشيرازي (إبراهيم)، شرح اللمع في أصول الفقه، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988
4. صحراوي (مسعود)، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير، الجزائر، 2020.
5. الطبطبائي (طالب سيد هاشم)، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994
6. المبخوت (شكري)، إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية، مركز النشر الجامعي، تونس، 2006.
7. المبخوت (شكري)، دائرة الأعمال اللغوية، 2010.
8. المبخوت (شكري)، نظرية الأعمال اللغوية، ميسكيلياني للنشر والتوزيع، 2008
9. المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، مكتب تنسيق التعريب (الرباط)، 2003

10. موشلر (جاك) و (ريبول) آن، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف: عز الدين المجدوب، دار سيناترا ، تونس، 2010

11. **A. Hadj Salah (1979): Linguistique arabe et linguistique contemporaine; "Ilm el Arabiyya", Thèse de doctorat d'état,**
12. **Récanati (François)- La transparence et l'énonciation, pour introduire à la pragmatique- Ed du Seuil-1979**
13. **Searle (John), les actes de langage, Hermann, Paris, 1972**
14. **Searle (John), Sens et expression, Minuit, Paris, 1982**
15. **(John Langshaw) - Quand dire c'est faire – traduction française - de: Gilles Lane - postface de: François Récanati – Editions du Seuil - 1970.**

الهوامش:

1 -J . Searle- le debat- Entretien –St – Socrates. Berkeley.edu

[2]- -. /Idem

[3] -J. L Austin – Quand dire c ,est faire- p101.

[4] - أول من أشار إلى ذلك، في رأينا، هو سيرل وليس من جاء بعده (مثل: فرازر Frazer ... أو غيره) كما يوهم كلام هشام عبد الله الخليفة في قوله: الإنجازية تشتمل على عنصرين في مقولة واحدة، يُنظر: نظرية الفعل الكلامي، مكتبة لبنان ناشرون، 2007، ص136.

[5] - يُراجَع: التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير، الجزائر، 2019، ص 82-84-85.

[6] - ليُراجَع مثلا: السكاكي، المفتاح، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص 175.

[7] - يُنظر: دائرة الأعمال اللغوية، ص 102.

[8] - يُنظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية...، ص 96.

[9] - يُنظر: les actes de langage,Paris Nathan, 1972, p 16

[10] - كنا أشرنا أن مترجم نص أوستين إلى الفرنسية (**Gilles Lane**) رأى أن يترجم مصطلح أوستين **"القوة"** (**force**) بـ"**valeur** " التي نعني: **"قيمة"**، وهي ترجمة لافتة.

[11] -J.Searle – Sens et expression… - hermann – paris 1972-p71.

[12] -Searle – les actes de langage – p 61

[13] - نشير إلى أن مصطلحات سيرل هي مصطلحات المناطقة، مثل مصطلح "القضية" ، وليست مصطلحات اللسانيين.

[14] - استعرنا هذه الرموز العربية من طالب سيد هاشم الطبطبائي في كتابه المذكور سابقا.

[15]- ذكرنا في كتاب "التداولية عند العلماء العرب" أنه قد كان للعلماء العرب تمييز بين هاتين الجملتين على أسس أكثر دقة وتفصيلا.

[16]- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ص 15.

[17]- انظر : searle- actes de langage –pp60/61 و نشير إلى هناك نقدا وجّه إلى هذا التمييز من قبل الباحثة التداولية kerbrat- Orecchioni , catherine في كتابين لها هما :

-L implicite- Armand colin (paris)-1986.

- Enonciation, de la subjectivité dans le langage – Armand colin (paris) – 1990.

[18] - دائرة الأعمال اللغوية، ص 47.

[19]- John Searle- sens et expression , étude de théorie de langage – p 49.

• يُلاحظ أن سيرل أخذ بعض هذه "المفاهيم و الأسس التصنيفية" عن أستاذ ج .ل. أوستين، وأعاد ترتيبها.

[20]-Searle-Sens et expression – p 44.J

- Ibid –p 41[21]

- J. Searle-Sens et expression – p 42[22]

- Ibid –p 42[23]

و مما يجدر ذكره أن ج.سيرل لم يذكر هذا المبدأ في كتابه الأول Actes de lange، ولم يشر إليه إلا في كتابه الثاني Searle-Sens et expression

[24]-Ibid-p 82

[25] - ما ترجمته الفرنسية: Style d'accomplissement يُنظر: J. Searle -Sens et expression, p46

[26]-libd-p44

[27]- يُنظر: اللسان و الميزان ، ص 216.

1* - استعنت –في نقل هذه المصطلحات من العربية –بالمراجع المذكورة في هامش سابق (ص77).

[29] - يراجع الطبطبائي، المرجع السابق، ص 45

[30]- يُنظر: J,Searle-Sens et expression p 51

[31] - يُنظر: Djilali Dalache-Introdution à la pragmatique linguistique-OPU-Alger- 1993-pp 27-28

[32] -François Récanati, la transparence et l'énonciation pour introduire à la pragmatique ..., éd. du Seuil, Paris, 1979, p 61.

[33] - Ibid, p 63.

[34] - يراجَع: شرح الدسوقي على مختصر التفتازاني، (ضمن شروح التلخيص)، ترتيب وتعليق: عبد المتعال الصعيدي، منشورات دار الحكمة، قم (إيران)، دت، ج2، ص 238.

[35] - يراجع: موسى الباميانى، المفصل في شرح المطوّل (ضمن شروح التلخيص)، ج1، ص 407. وقد عُني المؤلف بالتمييز بين المعنى الحرفي والمعنى الاسمي للأساليب العربية.

[36] -Ibid. p 71

[37] -Ibid. pp 75.76

[38] - في كثير من البحوث الجامعية وفي بعض الكتب.

[39] - عبد المنعم السيوطي، جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية تداولية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة عين شمس، ص 50.

[40] - نفس المرجع، ص 50.

[41] - يُراجَع: السكاكي، المفتاح، ص 175، كما سبقت الإشارة.

[42] - يُنظر: A. Hadj Salah (1979): Linguistique arabe et linguistique contemporaine; Essai de méthodologie du "Ilm el Arabiyya", Thèse de doctorat d'état, T.2, P 504.

[43] - السكاكي، المفتاح، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، بيروت، 1987، (القسم الثالث: الفصل الأول).

[44] - أقترح على القارئ الذي يريد التوسع في هذه الفكرة أن يرجع إلى كتاب: التداولية عند العلماء العرب، ، الجزائر، 2020.

[45] -يُنظر: A.El Moutaouakkil (1982) : Réflexions sur la théorie de la signification dans la pensée Arabe, publications de la faculté des lettres et des sciences humaines, Rabat, P162

[46] - يُنظر: أحمد المتوكل، اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي، أعمال ندوة البحث اللساني والسيميائي، الرباط، 1981.

[47] - المفتاح، ص 304، وليراجَع: عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء التداولية، الأمل، تيزي وزو، 2013، ص 171 وما بعدها. وقد أدرك علماء الأصول أمرا دقيقا في هذه المسألة فقالوا: يُستغنى عن معرفة نية اللافظ إذا كانت العبارة دلالتها صريحة تفهم على المتبادر مما

تؤديه صيغة النظم، أما إذا كانت محتملة لأكثر من معنى، بحيث تحوج إلى التأويل فلا بد من النظر في نية اللافظ؛ ومثال ذلك: ألفاظ اليمين، وألفاظ العقود كالطلاق والبيع.

[48] - يُراجع كل من: شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية (2008)، وهشام عبد الله الخليفة، نظرية الأفعال الكلامية (2007)... في تعقيبهما على تفسير سيرل لتأويل الأفعال الكلامية غير المباشرة.